مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
العدد الثاني عشر جمادى الآخرة ١٤١٥هـ

رأي في بعض مسائل الانتحال

الدكتور فضل بن عمار العماري
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

المفهوم اللغوي العام للانتحال :

كان للانتحال قديماً مدلول آخر عند السامعين، يختلف عما ارتبط به أخيرا، فهو لم يعن قط أن شخصا ما قام بتزييف الشعر ـ قصيدة أو أبياتا ـ ونسبته إلى غيره بهدف الترويج ، أو التشهير، أو الإيذاء، أو المبالغة، أو الادعاء، أو غير ذلك، وإنما كان له عدة معان منها :

النَّحْل بمعنى الانتماء المزيف :

يقول أبوشملة حريث بن إياس الشيباني .

وَإِنْ تَنْسُبَانِي في قُضَاعَةَ أَنْتَسِبْ إِلَى الأَحْوَصِ الكَلْبِيِّ غير تَنَحُّلِ[١]

وهو يعني أنه لا ينتحل اسماً آخر، أي إنه صريح النسب، فهو ينحدر من جهة إحدى أمهاته إلى الأحوص بن جعفر الكلبي ، وكلب من قضاعة إنه يريد أن يقول : إنني أنتسب إلى الأحوص الكلبي انتساباً صحيحاً لا ادعاء كاذباً (تنحلا) .

ويقول إياس بن سهم بن أسامة الهذلي :

كَأَنَّكَ لَمْ تَعْلَمَ سِوَى أُمِّ نَافِعٍ فَتَاةً تُناصي الْمَجْدَ غَيْرَ المُنَحَّلِ[٢]

أي إن أصل هذه الفتاة صريح ضارب بجذوره في السؤدد، ولم يكن مزيفاً مجتلبا .

وهكذا قال كثير:

أبا مروان لست بخارجي وليس قديم مجدك بانتحال[٣]

أي إنك في الصميم من القوم «لست بخارجي» وما ورثته من مجد لم يكن عن انتساب زائف إليهم .

ويوضح معنى الانتحال في النسب قول سهم بن أسامة:

وأنجو بها عن ديار الهوا ن غير انتحال الذليل المُوالي[٤]

ووفق هذا المعنى قال ذو الرمة:

مكارمُ ليس يُحصيهن مدح ولا كَذباً أقولُ ولا انتحالا[٥]

ويقول ابن رشيق في هذا المعنى: «وانتسبوا إليها انتحالا»[٦] وذلك في الكذب والادعاء.

النَّحْل بمعنى القول القارص الحاد:

يقول طرفة:

فَدَعها وانْحِل النعمانَ قولا كَنحتِ الفأس يُنجدُ أو يَغُور[٧]

فالنحـل هنا يعني تبليغ النعمان كلاماً، هو في قوته كقوة الفأس التي تنحت الحجر، وهو هجاء مقذع يتناقله الرواة في كل ناحية، فطرفة يرفع صوته جهاراً بهذا القول على أنه هو الذي يريد نقله، وعلى أنه له وليس لغيره.

ويرى الأزهري أن الرواية الصحيحة، حسب هذا المعنى، هي «نجل» وتابعه في هذا الإنشاد جماعة من العلماء[٨]، ومع جواز التصحيف، فإن الشعر القديم كان يستخدم «الحاء» وليس الخاء، ثم إن في بيت طرفة ما يعني الإهداء، ومن معاني «نحل»: الهبة والعطية والتخصيص بالشيء، فكان طرفة إنما يهدي النعمان ذلك الهجاء، وكثيرا ما ارتبط الهجاء بالإهداء.

النحل بمعنى الاهتمام والرغبة:

جاء هذا في قول ابن خلدون، وهو يتحدث عن شغف الرشيد بالشعر والاستماع إليه:

«نجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة به والرسوخ فيه والعناية بانتحاله والتبصر بجيد الكلام ورديئه، وكثرة محفوظه»[٩]

ولعل من هذا قول ابن رشيق :

«واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ما ينتحل كل واحد منهم»[10]

النحل بمعنى اختلاق النسبة :

تترد في كتب التراث، العبارتان «نحل» أو «ينحل» وهما تستخدمان للتدليل على أن هذا الشعر ليس لهذا الشاعر الذي التصق به، وإنما هو لشاعر آخر، حتى إنهم يعقبون عليهما أحيانا بما يفيد التأكيد والجزم بأن هذا الشعر هو حقا لهذا الشاعر الآخر، فمن العبارات التي تفيد نسبة الشعر خطأ، قول ابن قتيبة :

«وقوم من الرواة ينحلون الشعر تأبط شرا»[11]

«وفي شعر الهذليين : «وتنحل أبا ذؤيب»[12]

وفي ديوان بشر : «وتنحل»[13]

وفي ديوان حميد : «وهو جزء منحول ليزيد بن جهم الهلالي ويروى لحميد بن ثور»[14]

ومن العبارات التي تفيد القطع بنسبة الشعر للشاعر الآخر، قول ابن قتيبة : «بعض الرواة ينحل الشعر أبا الطمحان القيني، وليس كذلك، وإنما هو لِلَقيط»[15]

النحل بمعنى سرقة الشعر :

أحدث هذا المعنى كثيرا من الاتهامات التي وجهت إلى الشعراء، وانصرف في الأذهان إلى معنى الوضع والصناعة، حتى ارتبط بشخصيات معينة، وأصبح هو السمة البارزة في حياتهم، فتشوهت سيرتهم، وغدت سبة وعارا في جبينهم، يحملونه أبد الدهر، ولم يكن هذا المعنى وارداً أصلاً من استخدمه بادىء الأمر، وإنما كان يعني أن الشاعر يجد أن هذا التركيب ملائم لما يقوله، فيدخله في شعره، وهو معنى لم يقتصر على العصر الجاهلي، بل استمر حتى العصر الأموي، وذلك نتيجة طبيعية لاستمرار الموروث الشفوي المعتمد على الكلمة المسموعة والإيقاع المتردد.

ففي ديوان طرفة جاءت العبارة: «يهجو من ينتحل شعر غيره»، وذلك تعليقا على قوله:

وَلَا أُغِيرُ عَلَى الأَشْعارِ أَسْرُقُهَا عَنْهَا غَنِيتُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا[١٦]

ويقول الأعشى :

فَمَا أَنا أَمِ انْتِحَالِي الْقَوَا فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارا[١٧]

ويقول الفرزدق :

إِذا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُدًا تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ[١٨]

ومن اتهام الفرزدق بسرقة شعره، قوله:

لَنْ تُدْرِكُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمُ وَأَوَابِدِي بِتَنَحُّلِ الأَشْعَارِ[١٩]

وهكذا قال الفرزدق أيضا:

عن سرقة الشعر إنها: «خير السرقة»[٢٠]

وكما قال رجل من الأنصار في هذا المعنى للفرزدق: «أنت كذاب منتحل»[٢١]

وقال أبوالفرج رواية عن الضحاك بن بهلول عن أبيات أربعة لذي الرمة: «فانتحلها في قصيدته، وهي أربعة أبيات»[٢٢]

«وكان جرير يرمي الفرزدق بانتحال شعر الأخطل»[٢٣]

ويقول النابغة الشيباني :

وَمُنْتَحِلٍ شِعْرًا سِوَاهُ بِقَوْلِهِ وَقَائِلِ شِعْرٍ لَا يَكَادُ يَسِيرُ[٢٤]

ويقول ابن هرمة:

وَلَمْ أَتَنَحَّلِ الأَشْعَارِ فِيهَا وَلَمْ تُعْجِزْنِي المِدَحُ الجِيَادُ[٢٥]

ويقول الطرماح :

تَنَحَّلْ ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ حَرْبِى تَلَقَّحُ بِالقَصَائِدِ عَنْ كِشَافِ[٢٦]

ويقول الكميت :

فَدُونَكُموها آلَ كَلْبٍ فَإِنَّهَا غَرائِبُ لَيْسَتْ بِانْتِحَالٍ وَلَا خُشْبِ[٢٧]

ومن هذا المعنى ما قاله الزبير بن بكار عن أداء الأعشى حكم هرم لعامر: «قال في ذلك الأعشى، أعشى بكر بن وائل، ينتحل حكم هرم لعامر بن الطفيل . . »[٢٨] أي يدّعيه ويزعم أن هرما فضّل عامراً.

بداية سوء النية في اختراع الأشعار:

في صدر الإسلام: (في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم)

لعلنا نواجه لأول مرة في حياة الشعر العربي القديم، أول حادثة يتعمد فيها أحد الأشخاص قول شعر ونسبته إلى غير قائله، وذلك نتيجة لتغير الظروف السياسية والاجتماعية مع مجيء الإسلام، فهذا بشير بن الأبيرق، وهو أحد المنافقين، يهجو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فينحل الشعر غيره ولقد أدرك المسلمون أن وراء هذا الشعر شخصية معروفة الهوية، فكانوا يقولون: «والله ما هو إلا شعر الخبيث». وخوفا مما يجره عليه ذلك من عواقب وخيمة، قال:

أَوَ كُلَّمَا قَالَ الرِّجَالُ قَصِيدَةً ... نُحِلَتْ وَقَالُوا ابْنُ الأَبَيْرِقِ قَالَهَا[٢٩]

وعلى الرغم من أن النحل هنا يعني إضافة الشعر إلى الآخر حقيقة، فإن الهدف من ذلك لم يكن صناعة القصائد ونسبتها إلى شعراء قدامى، وإنما هي تنسب من أناس معاصرين، ولأن التعرف على قائلها يستوجب العقوبة وعدم الأمان.

ولابد على هذا أن توجد في صدر الإسلام نماذج أخرى مماثلة، ربما فقدت، أو ظلت منسوبة إلى قائلها. فقد ذكر ابن سلام أن قدامة بن موسى قال قصيدة ونحلها أبا سفيان بن الحارث، وأن قريشاً ترويه في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان[٣٠]

في عهد الخلفاء الراشدين وأوائل الدولة الأموية:

رأينا أن مفهوم الانتحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كان مفهوماً ضيقاً جداً. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم انشغل الناس بحروب الردة والفتوح حتى كانت الفتنة، بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وتولي معاوية ومن بعده ابنه

يزيد الخلافة، وحيث إنه ليس لدينا مايوثق الأشعار التي وردت في كتاب نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، فإن لدينا نصاً من ابن سلام يقول فيه عن حسان بن ثابت:

«قد حمل عليه ما لم يحمل على أحد، لما تعاضهت قريش واستبَّت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تنقى»[٣١]. وعبارة لا تنقى هذه، قريبة من العبارة التي سنصادفها بعد قليل في قوله: «يشكل بعض الأشكال». وهذا يعني أن من وضع هذه الأشعار كان على مستوى لغوي وثقافي واجتماعي وفكري قريب العهد بجيل حسان. وطبيعي أننا لا نفترض أن التعاضُه، أي الخلاف والشقاق والبهتان، كان بعد حادثة السقيفة، ولا بعد تولي الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولكنه كما يبين ابن سلام نفسه بعد أن «استبَّت قريش» وهذا الاستباب المفترض أي تفشي المهاجاة بينهم علانية، لابد أن يكون في عنفوان محاولة الأمويين إرساء حكمهم أي في خلافة معاوية أو في خلافة يزيد، لأنه عندما جاء عبدالملك بن مروان، انتقل الصراع من صراع مزدوج أي بين قريش، يمثلهم بنو أمية، والأنصار الذين تبنوا الوقوف إلى بني هاشم، إلى صراع قبلي، كما سيأتي الحديث عنه، وقد صاحب هذا ظهور الأحزاب السياسية المتعددة.

وإذاً، فإن تاريخ المرحلة الأولى للانتحال يبدأ بصناعة الأشعار ونسبتها إلى حسان خاصة ومن ثم، فإن هذا التاريخ، مازال يضيق دائرة الانتحال المقصود في أشخاص معروفين. وربما دفع هذا إلى افتراض أن بعض أشعار قريش والأنصار كانت منحولة أيضا في هذا العهد[٣٢]، ولكن مايهمنا هنا هو استعمال مصطلحي «الحمل» «والوضع»، فقد استخدمها ابن سلام في نطاق هذه الدائرة الضيقة التي سنراها تتسع فيما بعد.

في العصر الأموي:

الزيادة من البدو:

حدد ابن سلام بعد ذلك بداية التوجه قصدا إلى اختراع الشعر ونسبته إلى

الآخرين، فقال: «فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر»(٣٣)

ثم أضاف قائلاً:

«لما راجعت العرب رواية الشعر، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم»(٣٤).

ويضرب ابن سلام مثلا لصناعة الشعر، بحادثة ابن داود بن متمم بن نويرة: فيقول:

«أخبرني أبوعبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة، قدم البصرة، في بعض مايقدم له البدوي من الجلب والميرة، فنزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته، وكفيناه ضيعته؛ فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد من الأشعار ويضعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها، فلما توالى ذلك منه علمنا أنه يفتعله»(٣٥)

فإذن، كانت بداية الانتحال، حسب المفهوم الذي درج عليه، هي أواخر عصر الفتوحات الإسلامية، بعد أن فتحت بلاد فارس والروم، كما حدد ذلك ابن سلام بلقاء أبي عبيدة بابن داود بن متمم، أي حوالي سنوات الربع الأول من القرن الثاني وما بعدها، (ولد أبو عبيدة حوالي سنة ١١٠هـ - وتوفي سنة ٢١١هـ). ولم تكن هذه الموجة مدفوعة بدوافع عدوانية أو ضارة، وإنما جاءت تحت وطأة المتغيرات السياسية والاجتماعية. فابن داود، حينما راح يزيد في الأشعار، إنما اضطر إلى ذلك للحصول على مكاسب مادية: فالأوضاع السياسية في هذه الفترة، بداية حكم الوليد بن يزيد على الأرجح (١٢٥هـ - ١٢٦هـ)، كانت تمثل مرحلة ركود اقتصادي في البادية، جراء توقف حركة الفتح، وهو ما عبر عنه ابن سلام بقوله: «فلما كثر

الإسـلام، وجاءت الفتوح. . . » فلقد عانت البادية عناء شديدا نتيجة الإهمال، وانتقـال مراكـز القـوى إلى منـاطق بعيدة أصبحت هي مواطن الحـركـة المـالية والتجـارية، وذلك إلى جانب الظروف الطبيعية التي شعر بها، وقد عبر الشعراء مبكرا عن هذه الظاهرة فقال عقيبة الأسدي لمعاوية:

مُعَاوِيَ إنَّنَا بَشَرٌ فأسْجِحْ فَلَسْنَا بالجِبَالِ وَلاَ الحَدِيد
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وَجَرَدْتُمُونا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ(٣٦)

وقال جرير في عمر بن عبدالعزيز:

لاَيَنْفَعُ الحَاضِرُ المَجْهُودُ بادِيَنَا وَلاَ يَجُودُ لَنَا بادٍ عَلَى حَضَر
كَمْ بالمَوَاسِمِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعيفِ الصَّوْتِ والبَصَر
يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَأَنَّ بِهِ خَبْلاً مِنَ الجِنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ النَّشَرِ(٣٧)

وقد صاحب هذا الركود الاقتصادي، نشاط ثقافي تمثل في مراجعة الماضي، وهـو ما عنـاه ابن سلام أيضـا حين قال: «راجعت العـرب رواية الشعـر، وذكـر أيامها. . . » أو كما قال: راجعوا رواية الشعر».

وحسب نص ابن سلام، ذي القيمة الكبيرة في التاريخ الأدبي، فإن نقلة التراث من العرب، هم الذين ابتدؤوا في اختلاق الشعر واصطناعه على غرار شعر سابق عليه، أي أن هذه المرحلة، أي مرحلة ما بعد حركة الفتوح، كانت مرحلة تقليد ومحاكاة، أو زيادة على أصل سابق معروف، حتى إن قول ابن سلام، «فقالوا على ألسنة شعرائهم»، لا يعني إلا أنهم إحتذوا ذلك المثال، وتحروا الدقة في تشبيه ما يقولونه بما قال من يريدون الزيادة عن شعره، وهذا أمر يبدو معقولاً ومقبولا إلى حدّ ما، ومع ذلك فمهما بلغ التقليد والمحاكاة مداهما، فإن هذا الشعر يظل مفتقداً عنصر الخلق الشعري الذي مر به الشاعر نفسه، وهذا هو ما أدركه المستمعون إلى مثل هذه الأشعار، حتى عبر أبوعبيدة عن ذلك فقال: «فإذا كلام دون كلام . . . ». وعلى الـرغم من هذا، فإن التعرف على مثل هذه الأشعار يتطلب مشقة كبيرة، وجهداً بيناً من جانب ناقد الشعر، وذلك لأن مدعي هذه الأشعار أقرب إلى روح

النص وصاحبه لغةً وخيالاً وتعبيراً وتركيباً، ومن هنا قال ابن سلام عما زادوه: «وليس يشكل على أهل العلم. . . وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل ذلك بعض الإشكال». فمشاركة رجال من البادية في زيادة الشعر، كان هو المحرض الذي حرض الآخرين على سلوك هذا المسلك، وقد ضرب ابن سلام مثالا آخر على هذا التزيد والتزييف، ليس بشاعر قريب العهد بالتدوين كمتمم بن نويرة، بل بشاعرين جاهليين قديمين هما: طرفة وعبيد: فالذي يبدو أنه في حالة هذين الشاعرين شاركت قبيلة الشاعر في تلك الإضافة، يقول:

«ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة؛ وإن كان ما يروى من الغثاء لهما، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة. ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر. وكانا أقدم الفحول، فلعل ذلك لذاك. فلما قل كلامهما، حمل عليهما حمل كثير»[٣٨].

ومن أشهر الأمثلة التي يمكن إيرادها على هذه الزيادة، الشعر المنسوب إلى المجنون. فلما استجد على القبائل العربية من ظروف سياسية واجتماعية ومما صاحب دخول هذه القبائل في الإسلام من تغيير أدى إلى إيجاد علاقات جديدة بين الرجل والمرأة، بلغ الحب العذري، في العصر الأموي، أوجه، فارتفعت فيه نغمة الألم والحرمان. فوجد آخرون في شخصيات مثل عروة بن حزام وجميل بثينة والمجنون وقيس بن ذريح . . . الخ، متنفسا للتعبير عن أنفسهم، فاستغلوا بعض أشعارهم، وأضافوا إليها من عندهم على غرار ما صنع أولئك بشعر متمم بن نويرة وطرفة وعبيدة وأضرابهم، يقول الجاحظ:

«ماترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذه سبيله قيل في لُبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح»[٣٩].

ويقول الأصمعي:

«الذي ألقي على المجنون من الشعر، وأضيف إليه أكثر مما قاله»(٤٠)

ويقول البغدادي:

«المجنون . . . وهو من أشعر الناس، على أنهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره»(٤١)

وسواء أكان المجنون حقيقة أم من اختراع الرواة(٤٢)، فإن الشعر المنسوب إليه يتوافق مع طبيعة الشعر العربي آنذاك، كما قال البغدادي: «شعراً كثيراً. . . يشبه شعره»، أو كما قال أبوالفرج:

«إن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبها بعض الرواة إلى غيره، وينسبها من حكيت عنه إليه»(٤٣)

أو كما قال الأصمعي: «فتى من بني مروان، كان يهوى امرأة منهم، فقال فيها الشعر، وخاف الظهور، فنسبه إلى المجنون، وعمل أخبارا، وأضاف إليها ذلك فحمله الناس وزادوا فيه»(٤٤)

ومما ينبغي تأكيده، هو أن هذه الأشعار المزيدة، أو المضافة، لم تأت من كل أحد، إذ لابد أن من قام بذلك كان شاعراً، حتى يتمكن من بلوغ مستوى مقنعاً لتقبل ما يعمله من زيادة أو إضافة، ومن جهة أخرى، فلعل ابن داود لم يكن يزيد في الأشعار كما توهم أبوعبيدة ـ وإن كان هذا الاحتمال وارداً، جراء الدوافع الشخصية ـ بل كان يداخل بين الأشعار، فتختلط عنده أشعار أبيه بأشعار مالك بن نويرة، الذي كان شاعراً أيضا وأشعار عمه إبراهيم، الذي كان شاعراً كذلك(٤٥): وإن كنا لا نعدم مثل حالة حفيد متمم في هذه المرحلة، كما رأينا في حالة المجنون، فالأصمعي يزعم: «إن إخوة من بني سعد يسمون منذراً ومنتذراً ونذيراً، كانوا رجازاً، فلم يهبطوا الأمصار، فذهبت أشعارهم، وأن أرجوزة رؤبة القافية، التي هي قلادته، وعين شعره لنذير»(٤٦) وهكذا قال الأصمعي عن قافية الأغلب العجلي: «كنت أروي نصفاً من التي هي على القاف، فطولوها»(٤٧)، وقال أيضا:

«كـان ولـده يزيدون في شعره حتى أفسدوه»[٤٨] وقال: «كان من ولده إنسان. . . يكذب عليه في شعره»[٤٩] ومن الأشعار التي يمكن أن تعود إلى هذه المرحلة قصيدة النابغة:

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنِعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ   مَاذَا تُحَيُّونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ[٥٠]

التي قال الأصمعي إنها: «منحولة».

وقصيدة امرىء القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرتُهُ فَشَجَانِي   كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانِ[٥١]

التي قال عنها أبو عبيدة: «إنها محمولة عليه».

ومن الأمثلة البـارزة على تضـارب الآراء حول بعض الشعر الذي اختلط فيه التوجـه الأدبي بالتوجه الشعبي، الشعر المنسوب إلى قيس بن الحدادية، فعلى الرغم من أن أبا عمرو الشيباني روى بعض أخباره، وأنشد له قوله في كتابه له عنه:

فَخَرْتَ بيَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ فَخْرُهُ   أَحَادِيثُ طَسْمٍ إِنَّما أَنْتَ حَالِمُ
تُفَاخِرُ قَوْماً أَطْرَدَتْكَ رِمَاحُهُمْ   أَكَعْبُ بْنُ عَمْرٍو هَلْ يُجَابُ البَهائِمُ
فَلَوْ شَهِدَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ حَمْلَنَا   وَرَكْضَهُمْ لَا بْيَضَّ مِنْهَا المُقَاوِمُ
غَدَاةَ تَوَلَّيْتُمْ وَأَدْبَرَ جَمْعُكُمْ   وَأُبْنَا بِأَسْرَاكُمْ كَأَنَّا ضَرَاغِمُ[٥٢]

فإنه روى الأبيات التالية، ونقل رأى البصريين في اتهام حماد بصناعتها،. مع أن أهل الكوفة يروونها لقيس:

لَا تَعْذُلِينِيَ سَلْمَى اليَومَ وَانْتَظِرِي   أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلاً طَالَمَا افْتَرَقَا
إِنْ شَتَّتَ الدَّهْرُ شَمْلاً بَيْنَ جِيرَتِكُمْ   فَطَال فِي نِعْمَةٍ يَاسَلْمُ مَا اتَّفَقَا
وَقَدْ حَلَلْنَا بِقَسْرِيٍّ أَخِي ثِقَةٍ   كَالبَدْرِ يَجْلُو دُجَى الظَّلْمَاءِ وَالأُفُقَا
لَا يَجْبرُ النَّاسُ شَيْئاً هَاضَهُ أَسَدٌ   يَوْماً وَلَا يَرْتُقُونَ الدَّهْرَ ما فَتَقَا
كَمْ مِنْ ثَنَاء عَظِيمٍ قَدْ تَدَارَكَهُ   وَقَدْ تَفَاقَمَ فِيه الأَمْرُ وانْخَرَقَا[٥٣]

بل إن أبا الفرج قال عن قصيدة أخرى له: «هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بَيِّن

التـوليد» على الـرغم من أنـه نسخهـا من كتاب أبي عمرو نفسه[٥٤]. ثم إن ابن الحدادية نفسه من الشعراء القدامى الذين يعود تاريخهم إلى أواسط القرن الخامس الميلادي، وهي المرحلة التي جاء منها شعر كثير غير موثق كأغلب شعر المهلهل ومعـاصريه، فقد عاصر قيس عامر بن الظَّرب العدواني[٥٥] الذي ترأس معدًّا في حربهم في معركة البيداء ضد اليمن في حدود سنة ٤٥٠م.

الوضع والزيادة في الشعر:

العرب والموالي:

وفي خضم هذه الأجواء السياسية والاجتماعية والثقافية، جاء دور المولدين، أبناء الموالي الذين دخلوا الإسلام فاختلطوا بالعرب بادية وحاضرة، وانخرطوا في أعمـال الرواية الشفوية التي كانت تدر عليهم منافع اقتصادية وتمنحهم مكاسب اجتماعية، فراح بعضهم ينهج نهج الرواة العرب، وكانت طريقتهم هي الطريقة المتبعة لدى الرواة السابقين عليهم، وهي الزيادة على شعر سابق معروف، يقول ابن سلام:

«ثم كانت الـرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة، ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون»[٥٦]

ومن الملاحظ أن ابن سلام يستخدم حرف العطف «ثم»، وهنا يشكل هنا مرحلة انتقال عن المرحلة الأولى في الربع الأول من القرن الثاني الهجري، ولعلنا نقرب بداية هذه المرحلة بسقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ، وبداية قيام الدولة العباسية، ولقد اشترك في هذه المرحلة مجموعتان من المولدين نقلة الشعر: الرواة العرب بادية وحاضرة، والرواة الموالي، وتشكل هذه المرحلة مرحلة انتقال حضاري عن المرحلة السابقة، فالمرحلة الأولى، التي أطلق عليها ابن سلام: «أهل البادية»، تقـابلها الآن مرحلة جديدة، هي مرحلة يمكن تسميتها مرحلة «أهل الحاضرة»، فابن سلام لم يحدد هوية «الرواة»، وإن كان يعني العرب بعامة، وقد ظهر على أهل هذه المرحلة عوامل ضعف واختلاف عن أصحاب المرحلة الأولى، وهو ما

عبر عنه ابن سلام بقوله: «وليس يشكل على أهل العلم. . .»، فالاختلاف بيّن، بين ما كان موجودا معروفا للجاهلية، وما جاء مضافا إليهم.

إن ما هو مهم جداً في هذه المرحلة، هو ظهور مصطلح «الوضع» بشكل واسع، إلى جانب مصطلح «الزيادة» السابق عليه مرحليا.

ولقد اتهم الجاحظ أسامة صاحب روح بن أبي همام بتوليد قصيدة فيها البيت التالي:

فَانْقَضَّ كَالدُّرِّيِّ مِنْ مُتَحَدِّرٍ لَمْعَ العَقِيقَةِ جُنْحَ لَيْلٍ مُظْلِمِ

ثم قال: «إن كل من يقول الشعر يستطيع أن يقول خمسين بيتا كل بيت أجود من هذا البيت»، ثم عزى الجاحظ إلى الرواة أنهم: «قالوا: في شعر بشر مصنوع كثير، مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره»[٥٧]

وبهذا يضيف الجاحظ بعداً آخر يسلط الأضواء كثيرا على تلك الأشعار التي صنعها الوضاعون، ثم أضافوها إلى هذا أو ذاك من الشعراء، ومن أمثلة هذه الأشعار تلك القصيدة التي رواها الأصمعي في الأصمعيات للمهلهل:

يَا حَارِ لَا تَجْهَلْ عَلَى أَشْيَاخِنَا إِنَّا ذَوُو السَّوْرَاتِ وَالأَحْلَامِ

وقيل عنها: «مولدة»[٥٨]

وكذلك قصيدته:

أَزْجُرُ العَيْنَ أَنْ تَبْكِي الطُّلُولَا إِنَّ فِي الصَّدْرِ مِنْ كُلَيْبٍ غَلِيلَا

التي قال عنها الأصمعي: «إنها مولدة»، وقال عنها إبراهيم بن إسحاق الموصلي: «هي من مولدي العقيق»[٥٩]

ولعل من أمثلة هذا الوضع تلك الأشعار التي تنسب إلى المهلهل نفسه، والتي قال عنه الأصمعي: «أكثر شعره محمول عليه»[٦٠] ويمثل كتاب حرب بكر وتغلب، المطبوع في الهند سنة ١٩٠٥م، جزءا كبيرا من هذه الأشعار، ليس لمهلهل وحده فحسب، بل لشعراء آخرين[٦١]

ومما تنبغي ملاحظته هو أن هناك فرقا جوهريا بين هذه، والقصائد التي عدها

بعض العلماء «منحولة»، كقصيدة النابغة: «عوجوا فحيوا...»، وقصيدة امرىء القيس: «لمن طلل...»، التي قيل إنها: «محمولة عليه». فـ «الانتحال» أو «الحمل»، لا يعنيان الوضع والصنعة. وإنما يعنيان أن جماعة من العلماء عرفت هذه القصيدة أو تلك للنابغة أو لامرىء القيس، أو لغيرهما، وأن جماعة أخرى من العلماء لم تعرفها، فاستخدمت مصطلح «منحولة»، أي منسوبة إليه، أو «محمولة» أي ضمت له، وعدت من شعره، وليس الأمر كذلك في نظر آخرين؛ لأن محتوى وتركيب ونمط مثل هذه القصائد، هو ما يتوافق مع شعر الشاعر، حتى إن أسلوبها، قريب من أسلوب ذلك الشاعر الذي عزيت له.

أما القصائد من النوع الثاني، مثل قصيدتي المهلهل السابقتين، فإن «التوليد»، فيما يخصهما، وأمثالهما، يعني الوضع ومفارقة النمط والأسلوب والروح الشاعرية عند صاحبها، أو الافتقار إلى مثل هذه الروح.

وإذن، فإذا ما اختلف العلماء حول صحة قصيدة ما، فإن هذا الاختلاف لايميل بنا إلى تأييد هذا الجانب على حساب الجانب الآخر، وإنما نحن مطالبون بإخضاع هذا الشعر إلى المحك النقدي الذي دفع بإحدى المجموعتين من العلماء إلى استخدام أي من المصطلحات التي تثير الشك حول قصيدة ما، وربما أفادنا التراث الأدبي في إلقاء الضوء على بعض الجوانب المربكة في الشعر القديم.

ولعل من الأمثلة الشاهدة على الزيادة على أصل ما في هذه الفترة، وعلى يد أمثال هؤلاء، قصيدة أبي طالب. فابن سلام المتوفى سنة ٢٣٠هـ يعلم أن هذه القصيدة محدودة العدد، ولكنها مع مضي الزمن أصبحت أطول مما يألف، يقول: «قد زيد فيها وطولت، رأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة: وقد علمت أن قد زاد الناس فيها، ولا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعي عنها فقلت: صحيحة جيدة! قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا أدري!»[٦٢]

ولقد وجد هؤلاء في تراخي الصياغة الشعرية لقريش، وقبول الناس لهذا النوع من الأشعار المصنوعة، ما شجعهم على المضي في عملهم ومخالفة النمط الجاهلي أو الأموي المعهود. يقول ابن سلام:
«وأشعار قريش فيها لين، فتشكل بعض الأشكال»[٦٣]

ويمكن أن يضاف أيضا إلى هذا النوع من الشعر المنحول من تلك الفترة القصيدة التي صنعها دارم أحد أحفاد السموءل، ونسبها إلى امرىء القيس:

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبٍ وَهْناً وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ(٦٤)

التي قال عنها أبوالفرج: «هي قصيدة طويلة، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس والتوليد فيها بين، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات وأحسبه ما صنعه دارم، لأنه من ولد السموءل، ومما صنعه من روى عنه من ذلك(٦٥)

ومما هو ملحوظ في هذه الفترة أيضا، أن الأجواء السياسية دفعت إلى نحل الشعر آخرين، فكان بعض الشعراء يقول القصيدة أو الأبيات وينسبها إلى شاعر ما خشية التصريح باسمه، وذلك هروباً من مواجهة السلطات التي قد تلحق الأذى به، فهذا الفرزدق يقول:

إِذَا قَالَ رَاوٍ مِنْ مَعَدٍّ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ كَانَتْ عَلَيَّ بِزَوْبَرَا
أَيَنْطُقُهَا غَيْرِي وَأُرْمَى بِعَيْبِهَا فَكَيْفَ أَلُومُ الدَّهْرَ أَنْ يَتَغَيَّرَا(٦٦)

الرواة الشفويون المحترفون:

انتقلت الرواية الشفوية بعد أن مرت بمرحلة الرواة البدو ذوي العلاقة والمصلحة، إلى الرواة من العرب والموالي على حد سواء، وشارك في الاضطلاع بهذه المهمة كل من أحب اللغة وآدابها، بحيث أصبح اكتساب جزء من الرواية الشعرية، أحد مقومات التثقيف الذاتي.

وكان لابد من ظهور شخصيات بارزة تتخصص في هذا الفن لوجود دوافع شخصية ومصلحية لديها، خاصة أن الاستكثار من الرواية وامتلاك ذاكرة قوية فائقة كان من عوامل الحظوة والوجاهة لدى أصحاب النفوذ في أواخر العصر الأموي.

ولقد رأينا كيف مرت الرواية الشفوية بمنعطف خطير على يد الرواة البدو حيث كان التزيد في الأشعار والنسج على منوال سابق، من المعضلات التي واجهت النقاد المتأخرين، وعندما جاء دور الرواة المحترفين، الذين كانوا يعتمدون في حصولهم على مادتهم الشعرية على ما يتلقونه من أفواه البدو، وجدوا كماً هائلاً من

الأشعار المتداخلة والمتشابهة، فاستوعبوا هذا التراث الضخم من رجال القبائل، ومن أبناء أسر الشعراء، على أنه هو الشعر الصحيح بالنسبة إلى الجاهلية. وقد جعل التاريخ الأدبي ظهور هؤلاء يتزامن مع ظهور «المولدين» ممن كان قريب العهد بالعصر العباسي، وحمل هؤلاء - نتيجة لبروزهم - كثيراً من تبعات أولئك وقصورهم.

حماد الراوية (ت ؟)

وإنه لمن حسن حظ الأدب العربي أن توافر له رجل ذو مكانة عالية تفوق التصور من حيث قوة الذاكرة والاستعداد للحفظ السريع، فكان حماد الراوية أقدم الرواة الموالي، الذين برعوا في ميدان الرواية الشفوية، فكان يحفظ على سبيل المثال:

«على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية عدا شعر الإسلام»[٦٧]

ولكن هذه المكانة المرموقة، تحملت وزر الماضي، فعندما جاء النقاد من بعده، وهو الدور الطبيعي في مثل هذه الحالات، وجّهوا تهم الانتحال والكذب إليه، وجعلوه هدفاً لكل تلك العيوب والمآخذ، التي أدركوها عند معاصريه من الرواة البدو؛ إذ كان هؤلاء النقاد يلاحظون أحيانا نوعا من التفاوت في الأشعار التي يروونها، أو كانوا في أحسن حالاتهم، غير متيقنين هم أنفسهم من نسبتها، فاتهموه مثلا، بزيادة أبيات في رائية زهير، كما اتهموه أيضاً بوضع أبيات على الحطيئة، ومع أن حماداً سبق فكرة الوضع بمعناه الذي سار عليه، فإن النقاد جعلوا حماداً صانعاً للشعر ومزيفا له، في حين كان حماد أعجز عن ذلك كله، كما كان أرفع مكانة من الرواة البدو من العرب أنفسهم، إذ إنه لم يختلق مثل تلك الأبيات، وإنما كانت تسقط في ذاكرته، فتبدو على السطح منها، ويترادف اللغة والإيقاع، ليكونا أبياتاً متداخلة في هذه أو تلك.

وإزاء هذه المواقف، وجدنا تضارب النقاد في الحكم على حماد، فهم يقولون عنه:

«كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق

به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار»[٦٨]

لقد كان حماد بريئاً من مثل هذه التجريحات، لأنه يأتي الحلقة الفارقة بين حلقات الرواية الشفوية، فهو الذي ابتدأ في التخصص الواضح في الشعر والرواية، قبل أن تصبح مفاهيم الوضع والصنعة والانتحال مفاهيم متداولة ومعمولاً بها من قبل الأفراد أو الجماعات، فهو يشكل مرحلة سابقة على اشتراك العرب والموالي في الزيادة والوضع، إنها مرحلة متزامنة مع مرحلة الرواة البدو الذين عنهم نقل حماد، حتى إنه في بعض الحالات، كان أقرب إلى الرواة الأوائل، رواة الشعر أنفسهم، فهو روى على سبيل المثال، عن سماك بن عبيد رواية الأعشى مع أن غيره من الرواة إنما روى عمن روى عن سماك: فهذا مؤرخ الرواية اللغوي، ومن رجال العصر العباسي الأول ت ١٩٥هـ، يروي عن شعبة عن سماك عن عبيد[٧٠]وهكذا فعل معاصره الرواية العالم الشهير، الأصمعي، الذي روى أيضاً عن شعبة عن سماك[٧١]، وقد لقي حماد فحول شعراء العصر الأموي: الفرزدق والأخطل وذا الرمة، فهو، إذن، ممن تلقى الرواية عن أولئك الرواة الأعراب مباشرة، سواء أكان ما يروونه صحيح النسبة إلى صاحبه، أم كان من قبيل التزيد والزيادة، ولهذا كان أبو عمرو بن العلاء، العالم الثبت الصحيح الرواية، ورأس المدرسة البصرية، وهو: «أبو العلماء وكهفهم، وبدء الرواة وسيفهم»[٧٢] (٧١هـ ١٥٤)، يعترف بسبق حماد ومكانته، فكان يقدم حماداً على نفسه[٧٣].

إن ما يقصده ابن سلام من قوله: «ينحل»، هو «ينسب» شعر الرجل «إلى غيره»، وهذا ليس جريرة حماد، وإنما هي ظاهرة من ظواهر مرحلته التي تحدثنا عنها، أما قول ابن سلام: «يزيد»، فهذا هو عين تلك الظاهرة التي تلقفها حماد، فاتهم بها، ولعل شعر زهير، يمثل رواية حماد خير تمثيل، ففيه قصائد أو مقطوعات رويت عن حماد فقط[٧٤]، وذلك إلى جانب القصائد التي اشترك في روايتها رواة آخرون، منهم الأصمعي وأبوعبيدة، وأبوعمرو الشيباني، والمفضل الضبي[٧٥]، حتى إن المفضل الضبي الكوفي يوجه التهمة إلى حماد بانتحال بعضها[٧٦]، وذلك للفارق الزمني بين الاثنين، ولطبيعة التناول والرواية عند كل واحد منهما.

وكموقف محايد من مرويات حماد، يقول أبو حاتم الرازي، القريب العهد بالرواية الشفوية، عما

نسب من شعر منحول إلى حماد مثل قصيدة الحطيئة في مدح أبي موسى الاشعري.

«فهذا الشعر ومثله وإن كان منحولاً فقد نسب إليه، ودوّن له، وروى في شعره إذ كان لذلك الطراز مشاكلاً ولشعره مضاهياً، والاحتجاج به جائز، وحماد وإن كان حضري النشء متهما في الرواية فهو من المعرفة بلغة العرب بموضع يجوز الاحتجاج بقوله، لو كان كلاماً منثوراً، فكيف بشعر مدون قد رواه الرواة، وسئلوا عنه ونسبوه إلى الحطيئة: ومثل هذا من الشعر مثل الملحق من الولد، وما سبيله إلا كما قيل: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[٧٧]

ويدل الخبر التالي على أثر الفارق الزمني في الرواية، قال السيوطي: «أنشد أبو عبيدة في كتاب أيام العرب»:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ بَكْراً رَسُولاً فَقَدْ جَدَّ النَّفِيرُ بِعَنْقَفِيرِ
فَلَيْتَ الجَيْشُ كُلُّهُمُ فِدَاكُمْ وَنَفْسِي والسَّرِيرُ وَذُو السَّرِيرِ
فَإِنْ تَكُ نِعْمَةٌ وَظُهُورُ قَوْمِي فَيَانِعْمَ البِشَارَةُ لِلْبَشِيرِ

ثم قال... وهي مصنوعة لم يعرفها أبو وردة، ولا أبوالزهراء ولا أبوفراس[٧٨]، فهؤلاء الرواة الأعراب، الذين ذكرهم أبو عبيدة، هم رواة معاصرون لأبي عبيدة، وليسوا من جيل حماد، وإن كانوا بدوا، فقبول هذه الأبيات أو رفضها لابد أن يستند على معيار آخر غير الاشتراك في الرواية.

خلف الأحمر (ت ١٨٥هـ):

وهكذا، فعندما جاء خلف الأحمر، الذي كان حماد أحد أساتذته، كانت الرواية الشفوية قد انتقلت إلى طور جديد، إنه طور العلم والتوثيق: فكان أن أصبح البون شاسعاً بين جيل يكاد ينقرض، وجيل جديد نشأ نشأة جديدة، وفي وسط ثقافي متعدد الروافد والمناهل، وكانت البصرة هي المجتمع الجديد الذى انتقل نقلة حضارية بعيدة في الممارسة والتجربة، في حين كانت الكوفة ممثلة لتيارات قديمة، واحتفظت بكثير من مظاهر الماضي، وهي في طور التخلص منه، ومن

أهم مظاهره: الرواية الشفوية، ولقد عبر ابن سلام تعبيراً صائباً عن هذا التفاوت في التلقي والتعليم والمشافهة، فقال عن الكوفة، وهو يتحدث عن الأسود بن يعفر، الشاعر القديم، واللافت للنظر، إنه يومىء إلى المفضل في هذا، فيقول: «ذكر بعض أصحابنا أنه سمع المفضل يقول: له ثلاثون ومئة قصيدة، ونحن لا نعرف ذلك، ولا قريبا منه، وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي.. ويتجوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا»[٧٩]

كما قال عن شعر شاعر آخر:

«وأسمعني بعض أهل الكوفة شعراً... وهذا شعر متداع خبيث... قال: أخذناه من الثقات، ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله»[٨٠] وها نحن نسمعه يقول عن خلف:

«اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لسانا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً، أو أنشدنا شعراً، أن لا نسمعه من صاحبه»[٨١]

وكما احتمل حماد مشاق الرواية وعانى من متاعبها، فلاقى الجحود والنكران، وتلقى أحكام عصر غير عصره، وناس غير ناسه، تحمل خلف أيضا مثل هذه التجريحات، ولكن الأحكام بالنسبة له، ليست من قبل تفاوت العصر واختلاف التفكير، وإنما من قبل المعاصرة والمنافسة والتشهير، فخلف أحد أعمدة مدرسة البصرة، وكان يتلقى الرواية بتثبت وتمحيص بالغي الدقة، وكان ذا ذوق وحس مكناه من فرز الأشعار والحكم عليها، كما نص على ذلك ابن سلام، وكان هذا من نتائج عصره، ومن مستلزمات بلوغ العلم والتفوق؛ ثم يأتي الآخرون، فيتهمونه بأنه وضع لامية العرب، وبأنه صنع لامية تأبط شرا، في حين أن زمن خلف كان زمن تجاوز مرحلة الوضع والصنعة على غرار القصائد القديمة، واتخذ الوضع والصنعة أسلوباً وطريقة آخرين.

وليس غريباً بعد هذا، أن نجد ابن سلام يقول عن الأصمعي: «من أهل العلم»[٨٢]، ويقول عن المفضل الضبي: «أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي»[٨٣]، ثم نسمع القدح والثلم والعيب توجه كلها

إليهما، فإذا بالمبرد يقول عن الأصمعي: «وكان الأصمعي ينحل الشعراء أيضا»[٨٤]

ويقول أبو علي الفارسي: «كان الأصمعي يتهم في تلك الأخبار التي يرويها، فقلت له: كيف هذا، وفيه من التورع ما دعاه إلى ترك تفسير القرآن ونحو ذلك، فقال: كان يفعل ذلك رياء وعنادا لأبي عبيدة، لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن، فجنح الأصمعي إلى ذلك»[٨٥]

ويحاول ابن جني الدفاع عن الأصمعي، ومن الغريب أنه تلميذ لأبي علي الفارسي، فيورد بعض التهم التي ألصقت به، فيقول: «أما إسفاف من لا علم له، وقول من لا مسكة به: إن الأصمعي كان يزيد من كلام العرب، ويفعل كذا، ويقول كذا، فكلام معفو عنه، غير معبوء به، ولا منقوم من مثله؛ حتى كأنه لم يتأد إليه توقفه عن تفسير القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحوبه من الكلام في الأنواء»[٨٦]

ويقول أبو عبيدة عن المفضل الضبي، مستخدما مصطلح «الصنعة»، أي الوضع والانتحال: «صنع بعض القصائد التي اختار، ونسب ما صنع منها إلى رجال هو فيما صنع لهم أشهر منهم في صحيح أشعارهم»[٨٧]

وقد وجه جهم بن خلف المازني ، الراوية البصري والعلامة بالغريب وبالشعر، نقدا للمضل فيه تعصب للمدينة، فقال:

أَنْتَ كُوفِيٌّ وَلَا يَحْفَظُ كُوفِيٌّ صَدِيقَا
لَمْ يَكُ وَجْهُكَ يَا كُوفِيُّ لِلْخَيْرِ صَدِيقَا[٨٨]

وقد سبق أن ألمح ابن سلام إلى التشكك في رواية المفضل نفسه، مع أنه قال عنه إنه: «أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة» حتى إنه يكرر قوله: «وقد علمت أن أهل الكوفة» مرتين، استياءً وتذمراً من مروياتهم، بمن فيهم المفضل، ويكفي هذا بعد ذلك، للتدليل على مستوى هذه الأحكام والباعث عليها، فما هي إلا وليدة زمن خطا خطوات واسعة بعيدة عن الماضي، وقد أدى ضيق التخصص واختلاف القدرات، والتنافس الشخصي إلى تجهيل الواحد الآخر، وإلى الطعن عليه، وإلى محاولة إيقاعه في حبائل الشك والإنقاص من قدره، وقد قال ابن جني:

«إنا نجد علماء هذا الشأن من البلدين، والمتحلين به في المصرين، كثيراً ما يهجن بعضهم بعضها، ولا يترك له في ذلك سماء ولا أرضا»[٨٩].

رواة الأخبار:

الرواة الأوائل:

تزامن مع تيار رواة الشعر المحترفين له، تيار آخر اتخذ منحى آخر، وكان نتاجا طبيعيا للمتغيرات العامة التي أحدثها الإسلام أولا، ثم لما جرى بعد ذلك من أحداث سياسية انعكست آثارها على المجتمع سلبا وإيجابا، ثم راح التيار يمتد ويتسع شيئاً فشيئاً، حتى تحول على يد رجال القرن الثاني الهجري إلى اعتراف وتخصص كما سوف نرى.

وتختلف نشأة هذا التيار عن حركة التزيد والزيادة، التي ظهرت في أعقاب الفتوحات الإسلامية الأولى، والتي اشتدت بتأثير الركود الاقتصادي والتبعية السياسية في البادية؛ ذلك أن هذا التيار، تيار شارك فيه الناس على مختلف طبقاتهم، بحيث كانت اللغة هي أهم عوامل الفرق بينه وبين لغة الشعر الأدبية، فرواة هذا النوع من الشعر كانوا يوصلون معلوماتهم التاريخية في لغة تناسب أذواق المستمعين على اختلاف مستوياتهم، كما تتناسب مع طبيعة المادة القصصية التي يحكونها للعامة أو الخاصة في مجالسهم، ولهذا فلم يكن هؤلاء مضطرين إلى القياس على الشعر البدوي أو الحذو حذوه، وإنما كانوا يأتون بالشعر الذي هم أقدر على صياغته، أو ممن يمكن أن يزودهم بمثل هذه الأشعار.

وعلى الرغم من قدم هذا التيار، على المستوى الشعبي، فإنه من الصعب تتبع مراحله الزمنية الأقدم، والمفترض أنه تيار سائد في المجتمعات المدنية والبدوية على حد سواء، ولكي يمكن تمييز لغة هذا الشعر عن لغة الشعر الأدبية، فإنه من الممكن القول: إن القصص في البادية، وفي المجتمعات التي كانت تتحدث نوعا من اللغة العربية الفصحى، أي لهجة عربية معربة، كان القصاصون وأهل الأخبار فيها، يأتون بالشعر الموافق لطبيعة هذه المجتمعات، أما في المجتمعات الأخرى

التي لم تتحدث لهجة عربية معربة، أو كانت في طريق إدراك اللغة العربية الفصحى، أو كانت قد وقعت تحت تأثيرات أخرى، فإن القصاصين والإخباريين، كانوا ينقلون معارفهم بلغة شعبية تتوافق مع خيال مستمعيهم وتفكيرهم، ومن الأمثلة التي يمكن الإشارة إليها على هذا الوضع: من بقي من أهل اليمن يتحدث الحميرية إلى جانب العربية، والحاضرة العباديين في الحيرة، والنبط الذين استعربوا في بلاد البحرين.

ولا يهمنا هنا هذا الاتجاه الثاني، وإنما يهمنا ذلك الاتجاه الأول، الذي يمكن تلمس نماذجه في مثل استماع عثمان رضي الله عنه إلى أحاديث أبي زبيد الطائي عن سير من أدركهم من ملوك العرب والعجم»[٩٠]

وفي العصر الأموي[٩١]، أدخل يزيد بن معاوية في سماره، علاقة بن كرسم الكلابي، الذي كان عالما بالانساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وعنه أخذ شيء كثير عن ذلك[٩٢]، أما عبدالملك بن مروان، فكتب إلى الحجاج قائلاً: «انظرني رجلا عارفا باشعار العرب وأخبارها. . . فوجه إليه الشعبي»[٩٣]، ومن المجالس التي كانت عامرة بأحاديث العرب وأشعارهم مجلس سعيد بن العاص، والى المدينة[٩٤].

ولبيان منزلة هؤلاء من العلم والتوثيق، يقول الجاحظ عن بعضهم: «أربعة من قريش، كانوا رواة الناس للأشعار وعلماء بالانساب والأخبار: مخرمة بن نوفل بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، وأبوالجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف، وحويطب بن عبدالعزى، وعقيل بن طالب»[٩٥]

ويبدو أن تكوين هذه الشخصيات، كان تكويناً أدبياً تاريخياً، وأن طبيعة المادة القصصية التي يروونها، كانت مرويات شفوية غير شعبية خالصة، وإنْ امتزجت بعناصر شعبية لتوافق أحاديث المجالس والسمر. وحيث إن هؤلاء إنما يروون رواية، فإن مسألة الزيادة أو التزيد غير واردة منهم، وإن كان هناك احتمال كبير في أن تدخل في مروياتهم أشعار غير ثابتة النسبة إلى أصحابها، ولكنها مع ذلك تتوافق مع التركيب العام للشعر باللغة الأدبية الفصحى.

ولم يترك هؤلاء كتبا يمكن الحكم على ما فيها من مادة شعرية، ولم يذكر القدماء موقفهم، على الرغم من منزلة أصحابها من هذه المرويات، وإن كان من المحتمل أن ما أخذ عن علاقة بن كرسم الكلابي، مثلا، يتوافق مع طبيعة المرويات الشفوية التي نجدها في الأحاديث عن أيام العرب.

وقد ذكر ابن النديم عن عبيد بن شرية الجرهمي أنه:

«وفد على معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان استحضره من صنعاء، فأجابه بما أمر به معاوية أن يدون، وينسب إلى عبيد بن شرية، ثم عاش عبيد إلى أيام عبدالملك بن مروان . وله من الكتب... كتاب الملوك وأخبار الماضي»[٩٦]

وقال غير ابن النديم: كان عبيد بن شرية روى عن الكيس النمري وابنه زيد بن الكيس، وعن الكسير الجرهمي.

وكتاب عبيد، مطبوع في الوقت الحاضر، وفيه أخبار وقصص وأشعار، وبعض مادته الشعرية يعود إلى مراحل قديمة.

أبوعبدالله محمد بن إسحاق : (ت ١٥٠هـ)

يمثل محمد بن إسحاق امتدادا مرحليا لرواة الأخبار، على شاكلة أخبار عبيد بن شرية، وعنه يقول ابن قتيبة:

«حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن المعتمر، قال: قال أبي: لا تأخذن من ابن إسحاق شيئا، فإنه كذاب»[٩٧]

يتوجه هذا الحكم مباشرة إلى شخصية ابن إسحاق، فيتهمه علانية بالكذب أي بتعمد الاختلاق والتزييف، وحيث أن نقلته من رواة البصرة، أهل الشعر والأدب: الأصمعي وأبوحاتم مثلا، فإن هذه التهمة تناله أيضا في هذا الجانب من روايته.

أما ابن سلام فيقول عنه:

«وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحق بن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزهري: لايزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة، وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أتينا به فأهمله. ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف السنين... [٩٨]

ويقول أيضا: «فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق»[٩٩]

كما يقول عندما تحدث عن شعر أبي سفيان بن الحارث: «ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية فقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل» ثم يواصل فيقول:

«ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرا، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم»[١٠٠]

أما ابن النديم، فيقول عنه:

«يقال كان يعمل له الأشعار ويؤتي بها، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة فيفعل، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول، وأصحاب الحديث يضعفونه، ويتهمونه»[١٠١]

وفي هذه الأقوال عدة أمور منها:

١ ـ أن صفة كذاب، في قول ابن قتيبة السابق، تشمل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل هذه الصفة هي المنطلق الأساس لاتهامه.

٢ ـ أن من ضمن مصادر ابن إسحاق المعتمدة، مرويات أهل الكتاب، أي ما

يعرف بـ«الإسرائيليات» وهذا لا يخرجنا عن الأمر الأول، بل يدور حوله.

٣ ـ أن هناك اتفاقا بين العلماء الثلاثة: ابن قتيبة وابن سلام وابن النديم، على أن ابن إسحاق كان يحشو كتابه بمادة شعرية مصنوعة.

ويقدم ابن سلام معياراً نقدياً واضحاً لقبول مثل هذه الأشعار، سواء أكانت على شاكلة ما جاء في أخبار عبيد بن شرية، أو التيجان لوهب بن منبة، أو ما نقله ابن إسحاق من أشعار، ويضع هذا المعيار هذه الأشعار إزاء الشعر الجاهلي، كما قبلته المدرسة البصرية، وكذلك إزاء الشعر الذي جاء عن الرواة البدو مما يتعذر تمييزه عن السابق عليه، ويتكون هذا المعيار من التالي:

(أ) الشعر المصنوع المنسوب:

وهو شعر ترفضه المدرسة البصرية، وإن كان متفقاً مع بعض الشعر الجاهلي، كما مر بنا من قول قدامة بن موسى قصيدة نحلها أبا سفيان بن الحارث هذا. ومثال هذا الشعر عند ابن سلام بعض الشعر المنسوب لأبي سفيان بن الحارث نفسه، لأن من مصادر روايته ابن إسحاق. مع ملاحظة أن ابن سلام روى بعض شعره الصحيح»[١٠٢]

(ب) الشعر في السير والمغازي:

ويوضحه قوله عنه: «فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال». ويفسر ذلك عمل ابن هشام في السيرة النبوية الشريفة، وابن هشام[١٠٣] أحد أعمدة علماء البصرة والمعاصر لابن سلام والذي قام بعملية تهذيب وتنقيح لكثير من مرويات ابن إسحاق في السيرة.

(جـ) الشعر المصنوع الخارج على النمط القديم بشكل عام وهو الذي يقول فيه:

١ ـ «في الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير، لا خير فيه، ولا حاجة في عربيته. . . وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء»[١٠٤]

٢ ـ «هو كلام مؤلف معقود بقواف».

٣ ـ «لانجد لأولية العرب المعروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود، فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يرو قط عربي منها بيتاً واحداً، ولا رواية الشعر، مع ضعف أسره وقلة طلاوته»[١٠٥].

٤ ـ «ذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع»[١٠٦].

وفي قول ابن سلام عنه: «كتب. . .»، «أتينا به فأحمله»، وقوله: «وضع لابن إسحاق»، بيان للتاريخ الزمني الذي نشط فيه تأليف مثل هذا الشعر، إذ توفي ابن إسحاق سنة ١٥٠هـ. ويتزامن وضع هذه الأشعار كثيرا مع نشاط الوضع في الشعر البدوي المسموع، أي بدايات العقد الثالث من القرن الثاني الهجري، وإن كان الراجح أن بدايات العصر العباسي الأول، خاصة في عهد الرشيد، كانت هي الانطلاقة الكبرى لمثل هذه المرويات.

أما قول مرغليوث:

«الأشعار المقحمة في حياة النبي من قبل ابن إسحاق، من الراجح أنها، من أوائل نصوص الشعر العربي القديم»[١٠٧]، فبغض النظر عن قوله: «أوائل نصوص الشعر العربي القديم»، التي تتوافق مع نظريته في الشك في الشعر الجاهلي وتاريخ بدايته بالقرآن الكريم، فإن قوله: «الأشعار المقحمة. . .»، إذا واجهنا هذه الأشعار نحو الأشعار التي أنكرها ابن هشام، فليس له سند تاريخي أو أدبي، حسبما تتبعنا ذلك، وإنما تشير الدلائل التاريخية والأدبية على أن هذه الأشعار تزامنت صناعتها مع صناعة أمثالها، مما حمل عليه ابن سلام،

قصة تبع:

أما ما ذهب إليه جواد علي من أن يزيد بن مفرغ الحميري (ت ٦٩هـ)، كان ممن أذاع أسطورة تبع، وكان يتعصب لليمن، ولعله هو الذي وضع أكثر الشعر المنسوب إلى التبابعة[١٠٨]، ففيه مغالطة تاريخية كبيرة، لأنه يتضمن أن عبيد بن شرية الجرهمي، الذي ذكره جواد، عقب ابن مفرغ مباشرة، كان ممن صنع الشعر على السنة التبابعة وغيرهم، وأضافه إليهم، كما يرى جواد علي نفسه[١٠٩]

إن قصة تبع، سواء أكانت أسطورة أم حقيقة، هي من الأخبار التي لم تأت من فراغ؛ ولابد أنها كانت ذات جذور في المجتمع العربي، بل العربي اليمني، ولو كان ابن مفرغ هو الذي وضع أكثر الشعر المنسوب إلى التبابعة، لجاء هذا الشعر على غرار شعر يزيد بن مفرغ نفسه، وهو شعر ليس مفتعلا، وليس معقودا بقواف، وليس واهنا ضعيف الأسر قليل الطلاوة، وليس مما لا يحتج بعربيته. وكذلك فإنه لا يمكن أن يكون عبيد هو الذي وضع هذا الشعر، وإنما حكاه إن كان حكاه، وإن كنا نرى أن الشعر المتضمن في الكتاب المنسوب إليه، ليس وليد المرحلة الأموية المتوسطة على الأقل، وإنما هو وليد أزمنة متأخرة، وافقت زمن وضع الشعر لابن إسحاق، ثم أخذ في التطور حتى وصل إلى شبه اكتمال على يد الهمداني صاحب الإكليل (ت ٣٣٣هـ)، ونشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ)، صاحب «ملوك حمير وأقيال اليمن».

ومما يرجح نشاط هذه الحركة في العصر العباسي الأول، ما ذكره ابن سلام حين قال:

«وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب...». وحين قال: «وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه، أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي»[١١٠]

وعبارات ابن سلام واضحة الدلالة على أن الذي يعنيه، هو هذه الأشعار التي استن طريقتها ابن إسحاق: «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه»، فنشاط هذه الحركة، إذن، ابتدأ مع ابن إسحاق وتلاحق بعد ذلك، حتى تحول إلى تخصص واحتراف، أما قوله: «تداوله قوم»، وقوله: «صحفي»، فهما يدلان على مدى الذيوع والانتشار، وهي المرحلة العباسية التي توافر فيها الاستقرار وابتدأ الإنتاج في سرعة ونماء.

علماء الأخبار:

كانت المرحلة التالية، التي أعقبت المرحلة الأولى. هي اشتراك العرب

والموالي في الوضع والزيادة من غير أن يكون هناك تخصص من أي من هؤلاء الرواة عربا وموالي في هذه الممارسة كما رأينا، ومع نشاط الدولة العباسية، واحتدام السياسات المؤدية والمناوئة، ظهرت فئة جديدة من الرواة، ممن توجه إلى الجمع بين كل ظواهر الرواية الشفوية السابقة: الزيادة والوضع، وقد شجع هؤلاء إقبال الناس على بضاعتهم نتيجة لتدني الأذواق والمعارف بين العامة من جهة، ونتيجة للبعد عن الطبيعة الفنية للشعر الشفوي، من جهة أخرى، ثم نتيجة لحلول قيم ووسائل جديدة بدلا من القيم والوسائل التي كانت سائدة في البادية، فاستجاب لهم كثير من الناس وحظوا بمكانة مرموقة في المجتمع.

يقول حمزة الأصفهاني:

«ذكروا أن جماعة من العلماء نسبوا إليهم اختلاق الأخبار، كابن دأب، وابن الكلبي، والهيثم بن عدي، وأضرابهم»[١١١]

ويقول ابن النديم عن الشرقي بن القطامي:

«الشرقي بن القطامي، ويكنى أبا المثنى الكلبي، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين... وكان كذابا»[١١٢]

ويقول عن عيسى بن دأب وأسرته:

«عيسى بن دأب... وأخوه يحيى.. وكان أبوهما أيضا عالما بأخبار العرب وأشعارها، وكان شاعراً، والأغلب على آل دأب الأخبار»[١١٣].

ويقول ياقوت عنه:

«ابن دأب، كان يتشيع ويصنع أخبارا لبني هاشم»[١١٤]

ويقول عنه نقلا عن الأصمعي: «أقمت زمانا... فما رأيت بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة، وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسبه إلى العرب فسقط، وذهب علمه، وخفيت روايته... وكان شاعرا وعلمه بالأخبار أكثر»[١١٥]

ويقول عن عوانة بن الحكم:

«وكان عوانة بن الحكم عثمانياً، ويضع أخباراً لبني أمية»[١١٦]

ويقول عن شوكر:

«شوكر شاعر بالبصرة، يصنع الأخبار والأشعار»[١١٧]

وفي هجاء لخلف الأحمر، يقوله في الفيض بن عبدالحميد، الذي كان يأخذ علمه عن شوكر وابن دأب، عاقدا مقارنة جميلة بين الرواة، ممن هم استمرار للرواية الشفوية الصحيحة من أمثاله وأمثال الأصمعي وحماد الرواية والمفضل الضبي . . . الخ . وعلماء الرواية «المحدثون» الذين يأخذون علومهم عن التدارس في الكتب التي لفقت فيها الأحاديث والأخبار والأشعار «أضاليل»، وهي أحاديث وأخبار وأشعار تأتي من كل واحد، ممن يستطيع التأليف والحكاية: «ألفها» و «ومؤلفة».

وَلَيْسَ مِنَ العِلْمِ فِي كَفِّهِ ... إذَا ذُكِرَ العِلْمُ غَيْرُ التُّرَابِ
أَضَالِيلُ أَلَّفَهَا شَوْكَرٌ ... وَأُخْرَى مُؤَلَّفَةٌ لابْنِ دَابِ
فَلَوْ كَانَ ما قَدْ رَوَى عَنْهُمَا ... سَمَاعًا وَلكِنَّهُ مِنَ كِتَابِ[١١٨]

وقد رمى الجاحظ الهيثم بن عدي وابن الكلبي ونصر بن السندي، بأنهم من يؤلفون المؤلف المزور[١١٩].

ويقول عن العتبي أجد رواة الأخبار في هذه المرحلة: «العتبي يحدث أحاديث . . . هذان الحديثان لم أسمعهما من عالم، وإنما قرأتهما في بعض الكتب من المسجديين»[١٢٠]

ويقول عنهم وعن أمثالهم أيضا: «تتبع أبو عبيدة النحوي، وأبوالحسن المدائني، وهشام بن الكلبي، والهيثم بن عدي، أخبارا قد اختلفت، وأحاديث قد تقطعت، فلم يدركوا إلا قليلا من كثير وممزوجا من خالص»[١٢١].

ويقول أبوالفرج عن بعض أخبار ابن الكلبي: «قرأت في بعض الكتب عن ابن الكلبي عن أبيه، وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه»[١٢٢]

ويقـول عن أخبار وضاح اليمن : «في كتاب مصنوع غث الحديث والشعر لا يذكر مثله»[١٢٣]

وقد سبق أن توقفنا عند رواة الأخبار قبل ابن إسحاق، ورأينا أن الرواية في تلك المـرحلة، كانت رواية غير ذات طابـع تشـويهي أو تحريفي مقصود من المؤلف نفسه، ويتبين أبوعبيدة الانحراف الشديد الذي أصاب جوانب من الرواية الإخبارية على يد المتأخرين، بحيث أفتقد فيها عنصر التحليل والنظر؛ فتشوهت الروايات الصحيحة وفق مصالح ذاتية، فهو يرى أن يوم النسار جر إلى أقاويل، ثم قال: «وهو عندي باطل مختلط أخذ عن جهال، وجاء الشعر الثابت الذي لايرد بغير ذلك. . . ولكن الناس قبلوه»[١٢٤]

فهذا الخبر الذي يقل فيه تأثير الخيال، لوجود ثوابت شاهدة عليه، تحرفت فيما بعد، بحيث سخر لخدمة الأهداف الخاصة، ولاشك على هذا، أن تكون الأخبار الأخرى أشد عرضة لتمثل تلك الأهداف.

إن أهم الملاحظات حول هذا الدور من أدوار الرواية الشفوية، هو أن الوصول إلى تلك المكانة التي احتلها ابن دأب أو شوكر أو الكلبي أو غيرهم، لم يكن سهلاً مسـيراً، يكتفي فيه بمجرد الحفظ والإنشاد، بل تطلب ذلك إمكانات خاصة وقدرات ذهنية معينـة، حتى يستـطيع الراوية التوفيق بين الرواية والقصص والوضع، كما تطلب أيضا السعي وراء الحصول على آلات الرواية القديمة، أي تعلم اللغة بشتى فروعها، وعلى آلات القصة، خاصة المادة التاريخية والأنساب، أما الوضع، فكان يستلزم معرفة بالعروض والتراكيب الشفوية والصور الخيالية القديمة، وكان هؤلاء يتمتعـون بصفـات تقـرب إليهم المستمعين، ومن أهم هذه الصفـات الـظرافـة والدماثة، حتى قال المازني عنهم: «في رواية الأخبار الظرف كله والعلم والفقه»[١٢٥]

وهكـذا انتقل لقب الراوية التراثي إلى «العالم»، فكان الذين احترفوا الرواية وتخصصـوا فيهـا: «أهـل العلم والرواية الصحيحة»[١٢٦]، وكان الذين طوروا فن القصص والأخبار «علماء في ميدانهم، ولم يعد التمييز عند الفريقين من الناحية الجنسية ذا اعتبار، إذ أصبح كل هؤلاء عربا بحكم الدين واللغة والاجتماع، بل إن

بعض رواة هذا الميدان كانوا يشكلون أسرا متخصصة في فن الرواية وفق الأصول الحديثة ومن هذه الأسر، أسرة ابن دأب، ولم يكن هؤلاء من جهة معينة توجه إليها الاتهامات، كما هي الحال بالنسبة للكوفة، وإنما كانوا من الجهتين، فشوكر كان كوفيا يعيش بالبصرة، وابن دأب كان من الحجاز(١٢٧)

إن هذه الطائفة من العلماء المتخصصين المحترفين، هي تطور لأولئك الرواة الإخباريين السابقين عليهم، والذين هم مجموعة أخرى غير أولئك القصاص الذين راحوا ينتشرون في المساجد، فهؤلاء العلماء المتخصصون المحترفون جمعوا بين القدرة على القص والقدرة على قول الشعر، أو أنهم كانوا أكثر تقدما من سابقيهم في التحكم في المادة الشعرية التي بين أيديهم، وإن أهم مايميزهم هو اعتمادهم الكتب على أنها مصدر لاستقاء المعلومات وترويجها مما جعلهم أقل احتياطا في الرواية، وعلى أيديهم حدثت تشويهات كبيرة في النص والخبر، حتى سموا بـ «الصحفيين»، وهكذا أصبح الشعر الجيد يعادل الشعر الواهن الخبيث، وغلبت الروح القصصية عليه حتى خرج أن يكون شعراً إلا أنه معقود بقواف، وتداخلت الأخبار، فابتعدت عن روايتها الأصلية لتمتزج بالأحاديث المخترعة والمصنوعة، ولم يعد مثل هذا مصدر ثقة مهما بلغ نصيبه من اليقين، مادام غير مسموع من عالم ثبت»(١٢٨).

الموقف النقدي من المرويات الشفوية :

وضح لنا الموقف النقدي من الشعر الذي لا يخضع للمعايير الأدبية التي قبلها النقاد القدامى، كما عبر عنها ابن سلام، وعلى الرغم من دقة التحري، والتخصص النقدي في هذا الموضوع فإن المعضلة الأدبية مازالت قائمة منذ أن عبر عنها ابن سلام بقوله: «ولكن يعضل . . .»

ولكي يكون هناك شبه قناعة بما في أيدينا من نصوص، بذل العلماء الأوائل فيها جهودهم فحصا وتدقيقا وتتبعا، نكتفي هنا بما قاله أبوحاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ)، في مرحلة سابقة من مراحل الرواية الشفوية، كما تبينا، فهو يقول:

«وكل شعر منحول إلى الشعراء الفحول مما رواه القدماء، واشتهر في دهرنا هذا، فإن الاحتجاج به والاقتداء بما رسمه الماضون من العلماء باللغة جائز، ولا يقدر على الزيادة والنقصان فيه أحد. بل الاحتجاج بكثير من قول المخضرمين، بل المحدثين الذين لم يلحقوا شأو أولئك وتأخروا عن دهرهم، هو غير منكر ولا مدفوع عند أهل المعرفة، لأنهم قد رووا الشعر الأول وحفظوا الغريب من الكلام، والذي قالوه من الشعر فعلى بصيرة منهم بمذاهب العرب، وجاز لنا الاقتداء بهم والرجوع إلى قولهم في هذه المعاني، وإنما أنكر هذا أولئك الرجال، الذين لعبوا بهذا الشأن لعبا حذقا به وتمكنا منه، مثل أبي عمرو ابن العلاء والخليل بن أحمد والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم وأصحاب النحو من أهل الكوفة والبصرة المذكورين، الذين كانوا ينقدون الألفاظ على الشعراء، ويتبعون سقطاتهم، ولم يخف عليهم من ذلك إلا النبذ اليسيرة. وكانوا أئمة للشعراء المحدثين في اللغة والغريب، يأخذون عليهم الخطأ من قولهم، ويكشفون عن عواره ويفطنون الشاعر البدوي لما لا يفطن له»[١٢٩]

وعلى الرغم من هذه المقولة التي تستسلم للأمر الواقع، كما هو عليه، فإن الباقلاني يتحدث عن التفريق بين الشخصيات الشعرية فيقول: «يميز بين شعر الأعشى في التصرف، وبين شعر امرىء القيس، وبين شعر النابغة وزهير، وبين شعر جرير والأخطل، والبعيث والفرزدق، وكل له منهج معروف وطريق مألوف»[١٣٠]

والذي لا ريب فيه أن الرواة العلماء المحترفين الذين صنعوا هذه الدواوين والمجاميع الشعرية، كانوا يمتلكون خاصة نقدية قوية نتيجة الدربة والمران على رواية الشعر القديم، وهو ما لاحظه الباقلاني، وما ذكره يحيى بن سعيد بن يحيى القطان في قوله:

«رواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه، ويقولون: هذا مصنوع»[١٣١]

ويطرح القاضي الجرجاني رأيا جديرا بالاهتمام، فهو يورد موقفين متعارضين من الشعر القديم، موقفا يرى استحالة الوضع والنحل، وموقفا يرى يسر ذلك وسهولته،

ولكن هذا الموقف يخضع فيما يبدو لما راج عن الرواة من اتهام، وهو يخلط بين الرواة الأوائل ذوي الأصالة في الموروث الشفوي، والرواة أصحاب الأخبار. وقد تجلت لنا حالات هؤلاء وحالات أولئك. يقول:

«ما بال المتقدمين خصوا بمتانة الكلام وجزالة المنطق وفخامة الشعر، حتى إن أعلمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب ولو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية، والكتب المصنفة من شعر فحل، وخبر فصيح، ولفظ رائع ـ ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مروي، وجل الغريب محفوظ منقول ـ ثم أعانه الله بأصح طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة، ثم حاول أن يقول قصيدة، وهو يقرض بيتا يقارب شعر امرىء القيس وزهير، في فخامته ورقة أسره، وصلابة معجمه، لوجده أبعد من العيوق متناولاً، وأصعب من الكبريت الأحمر مطلبا؟ قلت «أحلتك على ما قال العلماء في حماد وخلف وابن دأب وأضرابهم، ممن نحل القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وصعب على أهل العناية إفراده وتعسر، مع شدة الصعوبة حتى تكلف فلي الدواوين واستقراء القصائد فنفي منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقبل. وهؤلاء محدثون حضريون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان واختلطت اللغة وحُظِرَ الاحتجاج بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقة الشعراء. . . »[١٣٢]

ويمكن بعد ذلك أن نستضيء، إما باشتراك أكثر من عالم في رواية قصيدة ما أو شعر ما، وهو واقع أغلب الدواوين الشعرية التي بين أيدينا، وإما بالإشارات التي تذكر شبه اتفاق عام على إحدى الروايات دون الأخرى.

يقول ابن سلام عن الأمر الأول:

«وقد اختلف العلماء في بعض الشعر، كما اختلف في بعض الأشياء، أما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه»[١٣٣].

وقد استخدم القدماء بعض التعبيرات التي يمكن أن تهدينا فيما يخص الأمر الثاني، وذلك كقولهم:

«طعنت الرواة. . . »[١٣٤]

«اجتمعت الرواة. . . ولم تكن الرواة لتجتمع . . . إلا بأخذ عن العرب»[١٣٥]

«الرواية المعروفة التي عليها الرواة/ الناس»[١٣٦]

«وهي رواية قليلة، والرواية هي »[١٣٧].

«اختلف العلماء في عزو هذا الشعر»[١٣٨].

«الرواية الجيدة»[١٣٩]

«هكذا روايته وإنشاده عن العرب»[١٤٠]

التعليقـــــات

- الأسـدي، بشـر بن مروان: حرب بني شيبـان، عمـل محمد جاسم حمادي الشهلاني، بغداد، مطبعة سلكو، ١٩٨٨م.
- الأصفهـاني، حمـزة: التنبيه على حدود التصحيف، تحقيق محمـد طلس، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٨م.
- الأصفهاني، أبوالفرج: الأغاني، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، بيروت، مطبعة دار الثقافة، ١٩٦٥م.
- الأصمعي، عبـدالملك بن قريب: فحـولـة الشعراء، تحقيق ش توري، دار الكتاب الجديد، ط أولى ١٣٨٩هـ، ١٩٧١م.
- الأعشى، ميمـون بن قيس: ديوان الأعشى، تحقيق محمـد محمـد حسين، مصر، المطبعة النموذجية ١٩٥٠م.
- البـاقـلاني، أبوبكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب، تحقيق عبد السـلام هـارون، مصر، مطبعة الهيئة المصرية العامة، ٢٩٨٥م.
- ابن بكار، الزبير: جمهرة نسب قريش، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٣م.
- التبريزي، أبوزكريا يحيى بن علي، شرح المفضليات، تحقيق علي البجاوي، مصر، مطبعة دار نهضة مصر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٣ د ت.
- الحيوان، تحقيق عبـدالسـلام هارون، بيروت، المجمع العلمي الإسلامي، ط٢. ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

- الجرجاني، القاضي عبدالعزيز: الوساطة، تحقيق محمد أبوالفضل وعلي البجاوي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ابن جني، أبوالفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، مطبعة دار الهدء ط٢ د ت.
- أبومنصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، مطبعة دار الكتب ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن المظفر، حلية المحاضرة، تحقيق جعفر الكتاني، العراق، دار الحرية ١٩٧٩م.
- ابن حجر، امرؤ القيس: ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبوالفضل، مصر مطبعة دار المعارف، ١٠٥٨م.
- حسين، طه، في الأدب الجاهلي، مصر، دار المعارف، ١٩٢٧م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة، القاهرة، المكتبة التجارية، د ت.
- الذبياني، النابغة: ديوان النابغة، تحقيق محمد أبوالفضل، مصر دار المعارف ط٢، ١٩٨٥م.
- الرازي، أبوحاتم أحمد بن حمدان، الزينة، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداين، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٥٧م.
- ابن رشيق، أبوعلي الحسن، العمدة، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، مصر، مطبعة دار الجبل، ط٤، ١٩٧٢م.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦/١٩٦٦م.
- سرحان، جمال، المسامرة والمنادمة عند العرب، بيروت، مطبعة دار الوحدة ط أولى ١٩٨١م.
- السكري، أبوسعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار فراج، القاهرة، دار المعرفة د. ت.

- ابن سلام، محمـد، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المعدني، ١٩٧٤م.
- ابن أبي سلمى، زهير، شرح شعر زهير، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- السيوطي، جلال الدين: المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- الضبي، المفضل: المفضليات، تحقيق كارلوس يعقوب لايل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م.
- ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة، شرح كرم البستاني، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر د ت.
- ابن عبـدربـه، أبـوعمـر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.
- علي، جواد، المفصـل في تاريخ العرب، بيروت، دار العلم للملايين، ط أولى، ١٩٦٨م.
- الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، شرح كرم البستاني، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ابن قتيبة، أبومحمد عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف ١٩٦٦م.
- الكلبي، أبـومنذر هشام بن محمد، جمهرة النسب، رواية محمد بن حبيب، تحقيق محمد فردوس الأعظم، دمشق، دار اليقظة د ت.
- المرزوقي، أبوعلي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
- مرغليوث، د ـ س، أصـول الشعـر العـربي، ترجمة يحيى الجبوري، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م.

- المعري ، أبـوالعلاء، رسالة الصاهل والشاحج ، تحقيق عائشة عبدالرحمن ، مصر، دار المعارف ١٩٧٥م .
- ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، بيروت دار صادر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
- المنقري ، مزاحم، وقعة صفين، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مصر، المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٨١م .
- ابن النديم أبوالفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، القاهرة، المكتبة التجارية د. ت .
- ابن هشام، محمد ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .
- الهـلالي ، حميد بن ثور، ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبـدالعزيز الميمني ، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ط أولى ١٣٧١هـ/١٩٥١م
- M. Zwettler, The Oral Tadition, Ohis State Uni, Press, 1980.

الحـــواشي

(١) الكلبي، جمهرة النسب، جـ٢، ص٢٢٢.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، جـ٢، ص٥٢٧.

(٣) اللسان، «خرج».

(٤) السكري، شرح شعر الهذليين، جـ٢، ص٥١٢ الموالي: الذي يوالي القوم.

(٥) ديوانه، جـ٣، ص١٥٣٨. وقال الفرزدق:

وابن المراغة يدعى من دارم   والعبد غير أبيه قد ينتحل

ديوانه، جـ٢، ص١٦٠.

(٦) العمدة، جـ٢، ص٢٣٩.

(٧) ديوانه، ص١٥٢، ينجد: يأتي كل مرتفع من الأرض. يغور: يأتي الغور، أي كل منخفض.

(٨) اللسان «نحل».

(٩) المقدمة، ص٥٨١. وذلك في فصل: «ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر» ص٥٨٠ ـ ٥٨١.

(١٠) العمدة، جـ١، ص٢٢٤.

(١١) الشعر والشعراء، جـ٢، ص٦٧٢.

(١٢) جـ١، ص٤٣٩.

(١٣) ص ١٩٢.

(١٤) ص ٧٦.

(١٥) الشعر والشعراء، جـ٢، ص٧١١.

(١٦) ص ٧٠.

(١٧) ديوانه، ص٥٣.

(١٨) التاج، «نحل».

(١٩) ديوانه، جـ١، ص٣٥١.

(٢٠) الأصفهاني، الأغاني، جـ٢١، ص٣٥١.

(٢١) الأصفهاني، الأغاني، جـ٩، ص٣٣١، جـ٢١، ص٣٩٥.

(٢٢) المصدر نفسه، جـ٢١، ص٣٥١، وقد انتحل الفرزدق حسب هذا المعنى ثلاثة أبيات لذي الرمة أيضا، كما انتحل أبياتا لابن ميادة. المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٣، جـ٢١، ص٣١٠.

(٢٣) ابن رشيق العمدة، جـ١، ص٣٨٣.

(٢٤) ديوانه، ص٣٢.

(٢٥) اللسان، «نحل».

(٢٦) ابن قتيبة، المعاني الكبير، جـ٢، ص٨٠٨، تلقح عن كشاف: أي تلقح سنتين متتاليتين، على المجاز تشبيها للحرب بالناقة.

(٢٧) ديوانه، جـ١، ص١٣٥.

(٢٨) نسب قريش، ص٥١.

(٢٩) القرطبي، الجامع، جـ٥، ٣٧٦.

(٣٠) طبقات فحول الشعراء، جـ٢، ص٢٥٠.

(٣١) طبقات فحول الشعراء، ص١٧٩. تعاضهوا: تناهشوا ورمى بعضهم بعضا بالعضيهة، وهي الإفك والبهتان والشتيمة.

(٣٢) يمكن قبول وجهة نظر طه حسين، حول بعض ذلك الشعر. في الأدب الجاهلي، ص ص ١١٦ - ١٢٩.

(٣٣) طبقات فحول الشعراء، ص٢٢.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ص ٣٩، ٤٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٣٦) ابن عبد ربه، العقد، جـ٨، ٣١٩.

(٣٧) الأصفهاني، الأغاني، جـ٨، ص٤٦.

(٣٨) طبقات فحول الشعراء، ص٢٣.

(٣٩) الأصفهاني، الأغاني، جـ٢، ص١٠.

(٤٠) الأصفهاني، الأغاني، جـ٢، ص١١.

(٤١) الخزانة، جـ٤، ص٢٢٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٤٣) الاغاني، جـ٢، ص١٢.

(٤٤) البغدادي، الخزانة، جـ٤، ص٢٢٩.

(٤٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ١، ص٣٣٩.

(٤٦) القاضي الجرجاني، الوساطة، ص١٦١.

(٤٧) الأصمعي، فحولة الشعراء، ص١٣.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) المصدر نفسه، ص١٤.

(٥٠) ديوانه، ص ص ٧٥ - ٧٨، ٢٠٢، ٢٠٤.

(٥١) ديوانه، ص ص ٨٥ - ٨٨، ٣٩٨.

(٥٢) الأصفهاني، الأغاني، جـ١٤، ص ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٥٣) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ص ١٤١ - ١٤٢.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٥٦) طبقات فحول الشعراء، ص٤٠ .

(٥٧) الحيوان، جـ٦، ص ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٥٨) ص ١٥٦ .

(٥٩) الحاتمي، حلية المحاضرة، ص٣٦، وأنظر الأصبهاني، الأغاني، جـ٥، ص٤٨، ابن عبدربه، العقد، جـ٥، ص ص ٢١٦ ـ ٢١٧، جـ٦، ص٤٤٩ .

(٦٠) فحولة الشعراء، ص١٢ .

(٦١) وانظر، الأسدي، حرب بني شيبان.

(٦٢) طبقات فحول الشعراء، ص٢٠٤ .

(٦٣) المصدر نفسه.

(٦٤) الأغاني، جـ٩، ص٩٧ .

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) ديوانه، جـ١، ص٢٩٦ .

(*) تركنا تحديد وفاته لغموضها بعض الغموض.

(٦٧) الأصفهاني، الأغاني، جـ٦، ص٦٩ .

(٦٨) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص٤٠ ـ ٤١ .

(٦٩) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ١، ص٢٥٩ .

(٧٠) المصدر نفسه، ص٢٦٠ .

(٧١) الجواليقي، المعرب، ص١٥١ .

(٧٢) ابن جني، الخصائص، جـ٣، ص٣١٠ .

(٧٣) الأصفهاني، الأغاني، جـ٦، ص٧١ .

(٧٤) انظر، ص ص ٢٢٩، ٢٢٣، ٢٣٩ ـ ٢٤١، ٢٥٨، خاصة القصيدة، ٢١، ص ص ١٩٤ ـ ٢٠٠ .

(٧٥) ص ص ١٦ ـ ٥١، ٧٦ ـ ٨٢، ١٦٠ ـ ١٧٠ .

(٧٦) ص ص ١٤٦، ١٥١، ١٩١، ١٩٢ .

(٧٧) الرزاي، الزينة، ص١٢٠ .

(٧٨) السيوطي، المزهر، جـ١، ص١٨٠ .

(٧٩) طبقات فحول الشعراء، ص١٢٣ .

(٨٠) المصدر نفسه.

(٨١) طبقات فحول الشعراء، ص٢١ .

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) المصدر نفسه.

(٨٤) الحاتمي، حلية المحاضرة، ص ٣٧ .

(٨٥) ياقوت، معجم الأدباء، جـ٣، ص٢٢ .

(٨٦) الخصائص، جـ٣، ص٣١١.

(٨٧) الحاتمي، حلية المحاضرة، جـ٢، ص٣٨.

(٨٨) ياقوت، معجم الأدباء، جـ٢، ص٤٢٨.

(٨٩) الخصائص، جـ٣، ص٣١٢.

(٩٠) ياقوت، معجم الأدباء، جـ٤، ص١٠٩.

(٩١) انظر، سرحان، المسامرة والمنادمة عند العرب، ص ص ١٧، ٢٩، ٣٧ ـ ٤٩.

(٩٢) ياقوت، معجم الأدباء، جـ٥، ص٦٦.

(٩٣) المصدر نفسه، جـ١، ص٣٠.

(٩٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ١، ص٣٢٥.

(٩٥) البيان والتبيين، جـ٢، ص٣٢٣ ـ ٣٢٤.

وانظر توثيقه لرواة متأخرين، المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٦٧.

(٩٦) الفهرست، ص٨٩٥.

(٩٧) المعارف، ص٢١٥.

(٩٨) طبقات فحول الشعراء، ص ص ٨ ـ ٩.

(٩٩) طبقات فحول الشعراء، ص١١.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص٢٠٦.

(١٠١) الفهرست، ٩٢.

(١٠٢) طبقات فحول الشعراء، ص ص ٢٠٦، ٢٠٨.

(١٠٣) السيرة، جـ١، ص٤.

(١٠٤) طبقات فحول الشعراء، ص ص ٥ ـ ٦.

(١٠٥) االمصدر نفسه، ص١١.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص٢٤.

(١٠٧) أصول الشعر العربي، ص٦٩.

(١٠٨) المفصل في تاريخ العرب، جـ١، ص٣٧٩.

(١٠٩) المصدر نفسه، وانظر قوله:

«وأوجدت هذه العصبية كثيرا من الشعر المصنوع، روي على أنه من شعر التبابعة، صنع ولاشك في الإسلام، حين بلغت العصبية العدنانية والقحطانية ذروتها في أيام الأمويين فما بعد، فلما نظر اليمانيون إلى أنفسهم، وإذا بالحكم لغيرهم، وقد كانت لهم دولة قبل الإسلام، ثم إذا بهم يحكمهم من كان دونهم في الجاهلية، أخذتهم العزة، ودفعتهم العصبية على الاحتماء بالماضي، وإعادة ذكرياته، وما كان لهم من مآثر، ولأجل توكيد ذلك وتثبيته. لجؤوا إلى الشعر، ولم يكن لهم شعر في الجاهلية بهذه العربية التي نعرفها، لأنها لم تكن عربيتهم، فصنعوا شعرا كثيرا بهذه العربية، نسبوه إلى التبابعة، وارتفعوا به إلى عهود جاوزت الحد المألوف الذي حدده علماء الشعر، لتاريخ ظهور (القصيد) عند الجاهليين، تجد الكثير منه

مدونا في الكتب التي تتعاطف مع اليمانية، مثل كتب الهمداني، ونشوان بن سعد الحميري». (وأنظر ص٨٤).

ووقد تابع جواد علي قول أبي العيناء: «سئل الأصمعي عن شعر تبع وقصته، ومن وضعهما، فقال ابن مفرغ، وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيره إلى الشام وتخلصه من عباد بن زياد، أنزله الجزيرة، وكان مقيماً برأس عين، وزعم أنه من حمير، ووضع سيرة تبع وأشعارها. (الأصفهاني - الأغاني جـ١٨ ص١٨٢) ومع أن هذا القول يشير إلى مسألة «الوضع»، وأن قصة تبع موضوعة، فإن أسلوب ولغة ابن مفرغ في شعره حيث يغلب عليهما التوتر والانفعال، مما يعكس شخصيته المضطربة هي غير هذا الشعر. ولعل أبا العيناء وهو عباسي الهوى، خلط بين حفيد ابن مفرغ السيد الحميري الشاعر المولد والشيعي المتطرف وابن مفرغ.

(١١٠) طبقات فحول الشعراء، ص٦.

(١١١) التنبيه على حدوث التصحيف، ص١١٨، ١١٩.

(١١٢) الفهرست، ص١٠٢.

(١١٣) الفهرست، ص١٠٣.

(١١٤) معجم الأدباء، جـ٦، ص١٠٩.

(١١٥) المصدر نفسه، ص١١٠.

(١١٦) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(١١٧) المصدر نفسه.

(١١٨) حمزة الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، ص ص ٨ - ٩.

(١١٩) البيان والتبيين، جـ١، ص٢٣٥.

(١٢٠) المصدر نفسه، جـ٣، ص ص ٥٧ - ٥٨.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

(١٢٢) الاغاني، جـ٢٣، ص٤٠٨.

(١٢٣) المصدر نفسه، جـ٦٦، ص ص ٢٠٠، ٢٠١.

(١٢٤) الضبي، المفضليات، ص٣٦٤.

حتى إن بني تميم أنشدوا رؤبة بن العجاج شعراً كثيراً في يوم الكلاب الثاني، فجعل يقول: «هذه إسلامية كلها». العقد جـ٥، ص٢٣٣، ولم يصحح من ذلك الشعر الكثير إلا قصيدة عبد يغوث وقصيدة وعلة الجرمي محرز بن المكعبر الضبي جـ٥ ص ٢٢٩ - ٢٣٣.

(١٢٥) ياقوت، معجم الأدباء جـ٢، ص٣٨٨.

(١٢٦) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص٦.

(١٢٧) ياقوت، معجم الأدباء، جـ١، ص١٠٩.

(١٢٨) أنظر مثل هذا الخبار عن عيسى بن يزيد بن دأب.

الأصفهاني، الأغاني، جـ١٧، ٢١٤.

المعري، رسالة الصاهل، ص ص ١١٩ - ١٢١، ٢٦٨، ٢٩٦.

ياقوت، معجم الأدباء، جـ٦، ص١٠٩.
وانظر عن أخبار الشرقي بن القطامي:
ابن النديم، الفهرست، ص١٠٢.

(١٢٩) الزينة ، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١، عبر زويتلر عن هذه النظرة حديثاً في بعض كتابه The Oral Tradition أنظر PP 222-224

(١٣٠) إعجاز القرآن، ص١٨٤.

(١٣١) السيوطي، المزهر، جـ١، ص١٧٥.
وهو عين ما قاله ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ص٦.
«وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات» وقوله ص٨: «الشعر يعرفه أهل العلم به».
وما رواه عن خلاد بن يزيد الباهلي، الذي كان حسن العلم بالشعر من أن خلفا الأحمر سأله عن سبب عدم قبوله لبعض الأشعار، فقال له: هل فيها ما تعلم أنه مصنوع لا خير فيه»، فأجابه خلاد بالإيجاب: «نعم». (الصفحة نفسها).

(١٣٢) الوساطة، ص ص ١٦ ـ ١٧.

(١٣٣) طبقات فحول الشعراء، ص٦.

(١٣٤) الجاحظ، الحيوان، جـ١ ـ ٦، ص٢٧٩.

(١٣٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، جـ١، ص٢٨٣.

(١٣٦) الضبي، المفضليات، ص١٧.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص٤٦٦.

(١٣٨) البكري، سمط اللآليء، جـ١، ص١٩٠.

(١٣٩) التبريزي، شرح جـ٣، ص١٣١٣.

(١٤٠) المرزوقي، الحماسة، جـ٣، ص١٢٤٧.